أحجار

هم المصريون جميعا على اختلاف طبقاتهم ومنازلهم ، وعلى تباين آرائهم وأهوائهم ، وعلى افتراق شيعهم وأحزابهم ، كلهم أحجار فى رأى صحيفة الوزارة التى صدرت صباح اليوم ، ومن بينهم الوزراء وأشباه الوزارء ، والقادة وأشباه القادة ، وزعماء النظام الحاضر وأصحاب النظام القديم .

هؤلاء أحجار ، ولكن هذه الأحجار تختلف فمنها الأحجار الصلدة العوجاء ، ومنها الأحجار الكريمة النفيسة . وواضح كل الوضوح ، وجلى كل الجلاء ، وبيّن كل البيان أن الوزراء وأشباه الوزراء وأن أنصار الوزراء وزعماء هؤلاء الأنصار ليسوا من تلك الأحجار الصلدة العوجاء وإنما هم جواهر ممتازة ، لا يعرض لها النقص ولا يطرأ عليها الفساد ، ولا يصيبها ما يصيب الأحجار الخسيسة من التغير والتبدل ولا تتعرض لما تتعرض له هذه الأحجار الخسيسة من الامتهان والازدراء ، إنما الوزراء وأشباه الوزراء وأنصار

---

(١) ١١ - ٨ - ١٩٣٣

الوزارة وزعماء هؤلاء الأنصار أحجار كريمة نفيسة غالية عزيزة ، فمنهم من صيغ من زمرد ، ومنهم من خلق من ماس ، ومنهم من صور من مرجان كما تقول صحيفة الوزارة .

وتستطيع أن تحصى الجواهر الغالية كلها سواء منها ما يخرج من البحر وما يقطع من الجبل ، وما يلتمس فى أى مكان شئت . تستطيع أنت أن تحصى هذه الجواهر الغالية فتلائم بينها وبين سادة اليوم فتوزعها عليهم أو توزعهم عليها ، فستجد منهم اللؤلؤ والدر ، وستجد منهم الزبرجد والعقيق ، كما وجدت صحيفة الوزارة منهم الزمرد والماس والمرجان .

وأنا مؤمن بأن سادة اليوم من الوزراء وأشباه الوزراء وأنصار الوزراء أحجار كريمة نفيسة ولكن المسألة التى تحتاج إلى التفكير والتقدير هى حاجة مصر الماسة وضرورتها الملحة فى هذه الأيام . فهل مصر فى حاجة إلى الأحجار الكريمة التى تتخذ للزينة والتجمل ؟ أم هل مصر فى حاجة إلى الأحجار الصلبة القوية التى تتخذ للبناء والإنشاء والتى لا تعمل فيها المعاول ولا الفئوس ، ولا تفنيها الأحداث ولا الخطوب ، والتى تبقى على الدهر بقاء الأهرام وما يشبه الأهرام من الآثار الخالدة ؟

أنا أرضى لخصوم الوزارة أن يكونوا هذه الأحجار ، وأكره لخصوم الوزارة أن يكونوا من أحجار الزينة والبهرج والتجمل . فمصر فى حاجة إلى أن يقام لها بناء منيع عزيز من المجد والعزة حتى إذا فرغت من إقامة هذا البناء واستوثقت من عزته ومناعته ، ومن

قوته ومتانته ، ومن أنه كما تقول صحيفة الوزارة ، أوكما تستشهد بقول القدماء : أبقى على الزمن الباقى من الزمن ، جاز لها أن تفكر فى تزيين هذا البناء وتحسينه وفى ترصيعه وتجميله ، وفى تحليته بالأحجار الكريمة والجواهر النفيسة .

ومن غريب الأمر أن صحيفة الوزارة قليلة التوفيق فيما تقصد إليه من تفكير ، وفيما تتورط فيه من تشبيه ، ولكنها فى هذه المرة أو قل فى هذه الجملة فكرت وأجادت التفكير ، وشبهت فأحسنت التشبيه ، وما أظن أن الناس قد نسوا تشبيهها وزراء الدولة أول هذا العام بالخمر المعتقة والنبيذ القديم . أما فى هذه المرة فلم يخطئها التوفيق وكأنها دفعت إليه دفعا ، فوزارتنا القائمة زينة لمصر من غير شك لا تمثل حاجة من حاجاتها ، ولا تصور ضرورة من ضروراتها . ولولا أنها زينة عارضة يمكن الاستغناء عنها ، والتخفف من ثقلها لما جرت أمور مصر كما تجرى الآن . ورئيس وزرائها مريض منذ أشهر طوال ، مريض لا يستطيع العمل ، ولا يقدر على التفكير فيه ، يقيم فى مصر فيستريح ، ويرحل إلى أوربا فيستريح ، وتجرى أمور مصر كما تستطيع . فرئيس وزرائنا حلية من الماس أو من أى جوهر أكرم من الماس ، ولكنه حلية على كل حال ، يمكن أن نتخذها حين نريد أن نباهى الدول ، ونعلن إليها أن لنا رئيس وزارة كما لها رؤساء وزاراتها ، وأن رئيس وزارتنا نفيس كريم ، أنفس وأكرم من رؤساء وزاراتها ، فهو من الماس الذى نتزين به ونتحلى . وليس من الأحجار الصلدة العوجاء التى يختل بافتقادها البناء ، وليس مما يقبل الشك أن مكدونالد وموسولينى وهتلر ودلادبيه وأشباههم من رؤساء الوزارات

الأجنبية لا تنظر إليهم بلادهم كما تنظر إلى الأحجار الكريمة التى نتخذها للحلية والزينة ، وإنما تنظر إليهم كما تنظر إلى الأحجار الصلبة المتينة التى تتخذ للبناء وإقامة المجد حتى إذا فرغنا من المفاخرة والمكاثرة ، ومن التنافس والمسابقة استطعنا أن نريح رئيس الوزراء وندعه فى داره أو فى مصطافه يستشفى ويتزيد من صحته الغالية ، ووزراؤنا كذلك زينة من غير شك نستطيع أن نباهى بهم الأمم . فلنا وزير تقاليد كما لهم وزراء تقاليد ، ولكن وزراء التقاليد عندهم أحجار صلبة متينة ، لا يسافرون ولا يستريحون إلا أن تضطرهم إلى ذلك الضرورات القاسية ، وهم حينئذ يدعون إلى العمل ليقوم مقامهم من يستطيعون العمل فى غير حاجة إلى السفر ، ولا إلى التنزه فى العواصم ومدن الاستجمام .

وأوضح من هذا كله فى الدلالة على أن وزراءنا زينة وحلية ومظهر الجمال أكثر من أى شىء آخر ، أن مصر لم تشغف بالإعلان عن نفسها ولم تتهالك على المفاخرة والمكاثرة ، ولا على إظهار العظمة التى لا تلائم حاجتها وطاقتها ، ولم تكلف بدعوة الأجانب إليها وإرسال أبنائها إلى الأجانب بمقدار ما يظهر من أمرها فى هذه الأيام . فهذه المؤتمرات التى تدعى بحساب وبغير حساب إنما تدعى فى أكبر الظن لترى وزراءنا وتستمتع بالنظر إليهم والحديث معهم والتنعم بما يقيمون لها من حفل وما يغدقون عليها من معروف . وهؤلاء الحاضرون وهؤلاء الخبراء الذين يدعون حين نحتاج إليهم وحين لا نحتاج إليهم ، إنما يدعون ليشهدوا ما عندنا من زينة وما نغيظ به

الأمم الأخرى من هذا الحلى البديع ، حتى إذا انقلبوا إلى بلادهم ورجعوا إلى أوطانهم تحدثوا بما يملأ أيدينا من الغنى والثروة وما يزين رءوسنا وصدورنا من هذه الأحجار الكريمة والجواهر الغالية العزيزة فخلبوا أمم الغرب بهذا الحديث حتى أصبحت مصر فى هذه الأيام مضرب المثل فى الغنى والثراء ، وفى اليسر والنعيم .

ولكن بين وزرائنا وبين هذه الأحجار الكريمة النفيسة التى يشبهون بها فى صحيفة الوزارة فرقا يضعف التشبيه ويفسده ويجعله على أقل تقدير ناقصا غير مستقيم . فليست الأحجار الكريمة زينة فحسب ولكنها ذخر فى الوقت نفسه ومادة من مواد الثروة الباقية تنفع حين تشتد الأزمة ، ويتحرج الأمر ، ويعظم الضيق . وظاهر أن النقد يتغير ويتبدل فيصعد حينا حتى يضطرهم إلى الفقر والإعدام . فأصحاب الأحجار الكريمة فى هذه الحال سعداء آمنون من الجوع والمتربة ، لأنهم يستطيعون أن يبيعوا بعض هذه الأحجار فيفيدوا من بيعها مالا كثيرا . ووزراؤنا – والحمد لله – لا يمكن أن يقوموا مقام هذه الأحجار إذا اشتدت الأزمة وضاق الأمر ، وأوشك الجوع أن يهلك الناس ، ويفسد عليهم كل شىء . فهم زينة ليس غير ، بينما الأحجار الكريمة زينة وذخر معا . وما رأى صحيفة الوزارة فى أن مصر قد أخذت فى هذه الأيام تحتاج إلى الطعام أكثر مما تحتاج إلى الزينة ؟! وماذا يغنى عن مصر الآن أن لها وزارة من الزمرد والماس والمرجان ما دام كثير من أهلها لا يجدون الخبز والملح أو ما يشترون به الخبز والملح ؟! على أن توفيق هذه الصحيفة فى هذا التشبيه ليس مقصورا على هذه الناحية التى تمس سادتها وأولياءها ، وإنما هو كامل شامل بالقياس إلى خصومها من المعارضين . فهم من هذه الأحجار

الصلبة ، وأى دليل على صلابتها أوضح من أن وزارة الزينة قد قامت منذ أكثر من ثلاثة أعوام ، وجدَّت ما استطاعت فى أن تحطم من هذه الأحجار حجرا فلم تظفر بشىء ، ولم تقدر على شىء . ومازالت هذه الأحجار كما كانت يوم قامت وزارة الزمرد والماس والمرجان لم تعمل وحدها فى تحطيم هذه الأحجار الصلبة وتقويم هذه الأحجار العوجاء ، وإنما عمل معها قوم آخرون ليسوا من الزمرد والماس والمرجان ولكنهم من الحديد والنحاس وما شئت من المعادن ومن غير المعادن . هم من هذه الجواهر العنيفة الخطرة التى تقدر على تحطيم كل شىء وتقويم كل عوج إلا تحطيم الأحجار الصلبة ، لأن صلابتها صورة من حب الوطن والإيمان بقوته وبقائه وحقه الخالد فى القوة والبقاء ، وإلا تقويم هذه الأحجار المعوجة لأن اعوجاجها صورة من مضاء العزم وشدة البأس وإباء الضيم والإلحاح فى المطالبة بالحق حتى ولو تألبت عليها كل الأحجار الكريمة والمعادن النفيسة .

لست أدرى أتحمد الوزارة لصحيفتها هذا التشبيه الذى جعلها من الزمرد والماس والمرجان ؟ أم تنقمه منها وتنكره عليها ؟ أما نحن فنقبل هذا التشبيه الذى يجعلنا حجارة صلبة لا سبيل إلى تحطيمها ، عوجاء لا سبيل إلى تقويمها . ونؤكد أن هذه الصلابة التى أعيت كل من حاول أن ينال منها إلى آخر الدهر ، وقد تحطمت عليها قرون وستتحطم عليها قرون أخرى ، ولكنا نعود فنقترح على الوزارة كما اقترحنا غير مرة أن تكلف وزارة المعارف تعليم كتابها وأنصارها فن البيان وحسن الكتابة وإجادة التشبيه فهم فى حاجة شديدة إلى هذا التعليم .